وكأن هذه المعارضات تظل بمثابة الحلقة الفنية التى تربط القديم بالجديد ، بل ربما زادت من روابط الشعراء أنفسهم فى العصر الواحد ، هذا إذا تعاصر المتعارضان على النحو الذى قد نجده فى معارضة شاعر مثل عمر بن أبى ربيعة لمعاصره جميل بن معمر العذرى أو العكس [1] وهى تبدو قريبة من روابط العصور فى غير أحاديث الحروب ، وكأن تشابه التجارب يكفى ليكون قرينة هذا الرابط ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار ما نظمه بعض الشعراء فى معارضاتهم لقصائد لأبى نواس ، على طريقة البارودى فى معارضاته ، أو ما كان من ابن المعتز فى معارضته للحسين بن الضحاك ، أو ما ورد فى معارضات ابن عبد ربه لمسلم بن الوليد ، إذ يبدو عالم التجارب جامعا بين المتعارضين على هذا المستوى النفسى الذى تتبلور من خلاله التجربة ، وتتشابه الصور ، وهو ما يدفع - بالضرورة - إلى تتبع ذلك التجاوب الفنى على مستوى إعجاب المتأخر بما نظمه سلفه تعبيرا عن ذلك التشابه بين التجربتَيْن ، وهى الظاهرة التى جسَّدها حس الجندية لدى بعض شعراء مدرسة الإحياء فى مطلع هذا القرن على غرار ما كان بين شعرائنا القدامى ، فإذا بالبارودى يسير على نهج أبى فراس فى روملياته ، ويحتذى خطاه فى بعض معارضاته، بل ربما جمعت المعارضة بين الشرق والغرب على نحو ماكان من موقف ابن دراج القسطلى حين اتخذ من شعر أبى فراس حقلا لمعارضته ، وإذا بالظاهرة تتسع على إطلاقها لدى الشريف الرضى فى العصر العباسى الثانى حين يتخذ من شعر مالك بن الريب مجالا يتوقف عنده أيضا معارضا . وإذا بشوقى يبحث عن ضالته ، فيجدها مرة فى تجارب لأبى نواس ، وأخرى فى تجارب شعراء الروميات ، فيتوقف عندما اختاره منها طبقا لتجربته ، فعمد إلى معارضة البحترى فى سينيته ، أو ابن زيدون فى نونيته ، أو المتنبى فى منظومات فروسيته أو سيفياته ، أو روملياته أو رثائياته ، وإذا به أيضا - أى شوقى - يميل إلى نظم معارضات لفلاسفة الشعراء على طريقته فى معارضاته لشعر أبى العلاء ، وكذا شعر ابن سينا خاصة قصيدة النفس التى عكف على معارضتها مصرحا بشدة إعجابه بها وبصاحبها[2] .

وعلى هذا يمكن الاستدلال على عظمة القصيدة واستمرارية تأثيرها من خلال موقعها فى زحام هذه المعارضات ، فلاشك أن ما أصبح من القصائد موضوعا لمعارضات الشعراء لابد

(١) الأغانى ١/١٢٥ .

(٢) يراجع في تفاصيل هذه المعارضات كتابنا حول التراث والمعارضة في شعر شوقى .